

اليمن .. والبعيد القريب

نحن فقراء

لكننا لسنا عصابة ..

...نحن دولة

علي عبدالله صالح لجيمس بيكر

في 22 / 11 / 1990

ما كاد الرئيس اليمني علي عبدالله صالح يجلس في البهو الكبير الذي يجمعه مع نائبه علي سالم البيض ببغداد التي طار إليها بعد ثماني وأربعين ساعة من عبور القوات العراقية الى الكويت ، حتى بادره صدام حسين :

– أجمل طريقة هي تلك التي صنعتم بها وحدة اليمن ، لقد كنا نتمنى ان تتم وحدة العراق والكويت بالطريقة نفسها .. لكن مع الأسف لم يكن ممكناً صنع الوحدة على طريقتم .

كان الوصف الأكثر تفضيلاً لدى القياديين العراقيين ، هو ان وحدة العراق والكويت هي توحيد لذات واحدة ، وتصحيح لوضع أنشأته القوى الأجنبية على أرض اليمن ، وهي الوحدة التي لجأ إليها اليمنيون للهروب من الحرب الأهلية ، ولتحاشي عملية ضم قسرية لأحد الشطرين بعد أن بدا لهم أن حرباً أهلية ستقع تحت وطأة الظروف الاقتصادية لكلا الشطرين وبعد أن بدا أن سقوط الاتحاد السوفيتي سيدفع أحد الطرفين لضم الآخر بالقوة ..

كان الرئيس اليمني موزعاً بين القلق والأمل ، فهو يشعر ان الأحداث تتطور سريعاً وقد تؤدي الى انهيارات ليس بإمكان احد ان يوقفها عند حد ، وقد تأتي على الجميع من حلفاء العراق وأعدائه سوية ، وان اليمن لن يكون معنياً من تحمل نتائج هذه الانهيارات ... لكنه في الوقت نفسه كان يستنجد بعلاقته العميقة مع العراقيين ، ليصنع حلاً يقبله المتنازعون ، برغم ان الصورة القائمة للوضع كانت تجعل ملامح الأمل الذي شغله شاحبة .. ثم متلاشية .

قال علي عبدالله صالح :

– إن العالم لن يسمح بالذي حصل ولذلك أخشى ان يتعرض العراق لضربة نووية ، وان ما لدينا من معلومات يدل على ان هذا الخيار موجود وقائم .. فرد صدام حسين :

– إننا لا نستبعد هذا الاحتمال ، بل اننا قد وضعناه في الأولويات ممكنة الوقوع ..

ثم دخل الرئيسان في حوار صعب ، بين فيه الرئيس العراقي انه تحاشى إعلام أحد من أقرب حلفاء العراق بعملية الكويت قبل وقوعها حتى لا يضعه في موقف محرج ، في حين عرض الرئيس اليمني استعداده للعمل على إيجاد حل سياسي في إطار الأسرة العربية ، ووجد أن صدام حسين يرحب بمساعاه شرط الاعتراف بحقوق العراق المعلنة .

(بماذا عدت من بغداد بعد زيارة يوم 4 / 8 / 1990 ؟ ..)

حين طرحت السؤال على الرئيس اليمني ، سحبنى من يدي بعيداً عن البوابة الخارجية لقصر الرئاسة لندخل إلى مظلة نصبت وسط حديقة القصر على أطراف صنعاء . وما كاد يجلس حتى بادرني هو بالسؤال :

– هل تعتقد أنني سأحدث عن كل الأسرار ..؟ إن الوقت لم يحن بعد ..

وصار عليّ أن أدخل في جدل حول حيوية إطلاق المعلومات ، من دون تحسس مسبق . خاصة عن أزمة الخليج وحربه اللذين تركا آثاراً عميقة في حاضر العرب ومستقبلهم ..

– لا بد أن تدلي بشهادتك سيادة الرئيس ..

قال الرئيس اليمني :

– لقد كنت شديد التفاؤل بعد لقائي مع الرئيس صدام ببغداد ، وحصلت على إجابات محددة عن نقاط عدة ، بما فيها الانسحاب من الكويت ، ولكن كل شيء كان مشروطاً بالتزامات مقابلة .

وأضاف : لم تكن مع الدخول العراقي الى الكويت ، لكننا بعد أن استمعنا الى المبررات العراقية ، ولمسنا استعداد بغداد لحل المشكلة شعرنا أن بالإمكان العمل في الإطار العربي للخروج بحل .

كان علي عبدالله صالح قد غادر بغداد إلى جدة ، ليلتقي في مطارها بالملك فهد ، في حين انفرد علي سالم البيض بالأمير عبدالله ولي العهد السعودي .. ودار حوار منفصل ، الرئيس والملك ، والنائب وولي العهد .

نقل الرئيس اليمني استعداد بغداد للإنسحاب والإتفاق على صيغ للحل ، والمشاركة في قمة مصغرة تعقد بمدينة جدة بعد أربع وعشرين ساعة ، (على ان يُنظر في طلبات العراق ، وتتم مساعدته لحل مشكلاته الإقتصادية) .

أجاب الملك انه مستعد للوصول إلى حل تؤول بموجبه جزيرتا وربة وبوبيان إلى العراق ، فضلاً عن حقل الرميثة النفطي ، والمساهمة في منح العراق سبعة عشر مليار دولار ... لكنه صرح الرئيس اليمني بأنه يتعرض للضغط للقبول بدخول القوات الأمريكية لأن القيادة العراقية لا تساعد لإيجاد حل ، ولذلك فهو متردد وحائر ولم يحسم الأمر بعد .

في تلك الأثناء كان الأمير عبدالله يقول للبيض : ان القوات الأمريكية قادمة وقد حسم الأمر .

وتظهر المعلومات اليمنية ، حول هذا الحوار ، ان بعض ما اشيع عن معارضة ولي العهد السعودي لقدم القوات الامريكية ربما لم يكن دقيقاً بما فيه الكفاية

وطار الرئيس اليمني ونائبه الى الإسكندرية ليجدا ان الرئيس المصري حسين مبارك شديد الإنفعال هو يبلغهما : لا حل وسط مع العراق ، فإما ان ينسحب من دون شروط ، وإلا فإن الجنرالات الغربيين سيتحركون .. وعلى العراق ان يتلقى ضربة مدمرة .

كانت القيادات اليمنية التي صُدمت بالعبور العراقي الى الكويت قد تداعت الى إجتماع عاجل وقطع الرئيس اليمني زيارته لمحافظة (حجة) شمال البلاد ، بعد أن تردد في اليمن وخارجه ان صدام حسين وعلي عبدالله صالح قد يكونان نسقا في وقت مسبق لعملية الكويت ، وان هناك التزامات متقابلة .. لذلك كان أول سؤال وجهه القياديون اليمنيون إلى الرئيس يمس هذا الأمر .

وسأل العميد مجاهد أبو شوارب ، نائب رئيس الوزراء ، وثاني أكبر شخصية في قبيلة (حاشد) :

– أيها الأخ الرئيس ، أرجو ان تكون صريحاً معنا ، هل هناك اتفاق مسبق بينك وبين القيادة العراقية ، هل هناك التزامات مسبقة تقع على اليمن ، هل ثمة حق أدبي نحن ملزمون به .. إنك تسمع ما يُقال ، ولا بد أن نعرف الحقيقة منك .

فرد الرئيس :

– لقد فوجئت مثل غيري بهذا الذي حدث ولم يكن هناك أي تنسيق مسبق مع بغداد وعلى أي مستوى ، ولم يكن هناك تفاهم من أي نوع بيننا وبين الإخوان في العراق .. صحيح أننا أعضاء في مجلس واحد للتعاون ، لكن هذا المجلس لم يكن إطاراً للقيام بأي عمل من هذا النوع ، أو التنسيق له ..

وقد يكون بعض الحاضرون اقتنعوا بأن الرئيس كان ما يزال تحت وطأة المفاجأة .. وأنه لا يعرف أكثر مما يعرفون عن الحدث الصاعق في الكويت ..

في كل مرة راجعتُ فيها ملفات الصراع ، او التقيت بالقادة الذين توزعوا المواقع على ساحته ، كان اسم الرئيس علي عبدالله صالح يتردد . برغم انه يقود دولة غير متلاصقة تماماً بحافة الاصطدام المباشرة ، وتبدو للوهلة الأولى ، جزءاً من أجنحة مفروشة عند الطرف التحتي البعيد من شبه الجزيرة العربية ، إلا أن هذه الدولة هي في حقيقة الأمر ، أكثر الأطراف صلة بصراع الخليج . تؤثر فيه بمستوى .. لكنها تتأثر به بمستويات عدة . وأذكر أن الملك حسين قال :

– لقد وجدنا من المناسب دعوة الرئيس اليمني إلى اجتماع جدة في 5 / 8 / 1990 ، لانه صريح وجريء ولأن اليمن جزء رئيس من المعادلة .

لذلك كان لا بد لي ، لأستكمل الصورة ، من المجيء إلى اليمن ، والالتقاء بالرئيس صالح ، والفعاليات السياسية في البلاد ، إنزاً أن حياء اليمنيين ، وتجاهل الآخرين لهم أديا الى إعطاء انطباع ليس دقيقاً ، هو ان اليمن طرف هامشي في الصراع على الخليج .. وكان عليّ أن أبحث عن إجابة تناقض ذلك الانطباع . قال اليمن جزء من الصراع على المنطقة ..

واليمن جزء من معادلة التوازن فيها .

واليمن أشبه ما يكون في موقعه ، عند قعر الجزيرة ، بحال الغاطس الذي لا بد منه .. لينزل في أعماق البحر ، حتى يضمن سلامة السفينة واستقرارها فوق سطحه وبين أمواجه .. فالجزيرة السفينة .. واليمن غاطسها .

لكن المسؤولين اليمنيين ، بذلوا جهداً استثنائياً للإعلان ان بلادهم ليست طرفاً في الصراع ، الى الحد الذي وصف الدكتور عبدالكريم الارياني اليمن بأنها طرف لا علاقة له بالازمة ، مع وجود أطراف عربية اخرى ، ذات علاقة مباشرة او غير مباشرة بما حدث او يحدث ، (وان صنعاء قد انتهجت سياسة معلنة تتطابق حقيقة مع كل ما اتخذته من مواقف عُرُفت ام لم تعرف من قبل الآخرين ..) و(ان بلاده لم تقع في هاوية السياسات الباطنية) .

وربما يكون السبب في إطلاق هذه الآراء هو وجود شبه اجماع في أوساط السياسيين والمثقفين اليمنيين بعد انتهاء حرب الخليج على حاجة اليمن إلى تهدئة علاقاتها مع الدول المجاورة ، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية . وان أية حقوق في الأرض او الحدود يمكن ان تكون مصدر توتر وخلاف . ينبغي ان تغطس عقداً من الزمن على الأقل ، لحين اكتمال قدرة اليمن على تجاوز المرحلة الانتقالية وتحقيق الاستقرار في تجربة الوحدة والتنمية والديمقراطية ، وان أي إنجذاب لإثارة المشاكل ، هو انسحاب الى موقع شبيه بالذي صار فيه العراق عندما استدرجته مقدمات الانفجار واستفزازاته ، وجذبه شعوره بالخطر الى الإقدام على عملية كان بالإمكان تأجيلها نصف عقد من الزمن ما دامت قد تأخرت أصلاً أكثر من عقدين من موعدها الذي كان

يمكن ان يتيح لها النجاح . والى أبعد من ذلك يرى الرسميون اليمنيون ان اليمن ليست مهيئة لمواجهة احد ، وان بنية المجتمع اليمني الذي يتسيده العرف قبل القانون ، وتكون فيه القنبلة بموازاة الحكومة ، وهي بنية أضعف من ان تكون قادرة على خوض معركة شاملة قد تؤدي الى انهيار أهم ما بنته هذه الدولة منذ ثورة 26 سبتمبر (أيلول) 1962 ، وأن أولوية الوحدة والديمقراطية والتنمية تسبق الإحتكاكات المحتملة أو المؤجلة مع أية قوة خارجية . إلا أن الرئيس علي عبدالله صالح الذي أدار البلاد منذ سنة 1978 ، وأمضى أطول مدة عرفها رئيس في اليمن ، برى ان دور بلاده الإقليمي محفوظ ولي لأية قوة ان تهمش هذا الدور مستغلة الظروف الاستثنائية الطارئة التي مرت على المنطقة ، ويتطابق هذا الرأي مع الطموحات التي تنشأ تلقائياً عن نجاح اليمن في بناء الوحدة وقطع شوط كبير على طريق التنمية والديمقراطية ، فيترتب عندئذ دور طبيعي حتى لو أجّل صاحبه إعلان المطالبة به وممارساته عملياً ..

إعتادت الأقمار الصناعية الامريكية والسوفيتية منذ أواسط الستينات الانتشار فوق المناطق الساخنة ، حيثما توجد قوى متنازعة ، متوزعة الولاء بين موسكو وواشنطن ، لتراقب أقمار كل طرف حلفاء الطرف الآخر ، وتحركاته سواء على الجبهة المصرية – الإسرائيلية أو جبهة الكوريتين أو الألمانيتين أو اليمنين .

وصارت الأقمار السوفيتية تراقب ، منذ أواسط الستينات ، التحركات العسكرية في الشطر الشمالي من اليمن حتى حدود السعودية ، لتغذي بمعلومات مركز التحكم والسيطرة السوفيتي في عدن ، وتعلم بها حكومة الشطر الجنوبي ، مما جعل صنعاء تلجأ لطلب المساعدة من الولايات المتحدة لتؤمّ لها مراقبة بواسطة الأقمار الصناعية للتحركات العسكرية في أنحاء اليمن .. فصار لدى صنعاء مصدر للمعلومات في مقابلة المصدر السوفيتي الذي يغذي عدن بالمعلومات .

ولطالما حثّ المسؤولون اليمنيون الجانب الامريكي على مراقبة الحدود الشمالية لليمن مع السعودية ، فكان الجواب يأتي بالرفض دائماً . كان اليمنيون يلتقطون الإشارات التناثرة التي تحملها وسائل الاعلام احياناً ، والتقارير الدبلوماسية والإستخبارية أحياناً أخرى ، وصاروا يُرجحون قبول فكرة ان اليمن معرضة لخطر محتمل ، وتابعوا ، مع سواهم ، تصريحات الجنرال دوغان رئيس اركان القوات الجوية الامريكية (15 / 9 / 1990) ، التي كشفت فيها عن خطة لضرب بغداد ومهاجمة مقرات صدام حسين ، ثم ما لبثوا ، ان وجدوا ان صحيفة (الشرق الأوسط) السعودية الصادرة في لندن تنشر بعد اربع وعشرين ساعة مخططاً لمهاجمة اليمن يحاكي في اسلوبه وأهدافه ، المخطط الذي تحدث عن دوغان لمهاجمة العراق ، واستنتج المسؤولون اليمنيون ان ما نشرته الصحيفة هو رسالة جدية موجهة اليهم ، وان مقرات علي عبدالله صالح ، والمطارات ، ومنشآت الكهرباء في الحديدة وعدن ستكون أهدافاً لضربة جوية خاطفة) واستبعد اليمنيون ان تكون المعلومات الصحفية مجرد جزء من حملة للضغط النفسي على اليمن ، برغم ان الصحيفة لم تحدد مصادرها ، وجعلت المعلومات التي نسبت مصدرها الى عمان ، معلقة بما يُعرف بمصادر مطلعة في نيقوسيا وهي التسمية التي يتخفى وراءها في العادة اولئك الذين يفضلون البقاء مستترين عند تمرير معلومات مضللة ، وربما صحيحة احياناً .

وتحدث الرئيس اليمني على الفور مع الملك فهد حول ما تردد من أنباء عن ضربة ستوجه الى بلاده بعد تسريب إشاعات عن وصول طائرات حربية عراقية الى اليمن ، واقترح على العاهل السعودي ان يجتمع نائب رئيس الأركان اليمني في (جيزان) مع ميمز يختاره السعوديون لتمثيلهم ، ليقوما معاً بتفتيش الحدود بواسطة طائرة هيليكوبتر ، وإذا ما وجدوا أي تحشيد إضافي في المنطقة فلا بد من سحب أية اسلحة جديدة او حشد جديد على أي من الطرفين . والتقى نائب رئيس الأركان اليمني محمد هيثم مع قائد منطقة (أبها) السعودي في مدينة (جيزان) ، لكن الضابط السعودي اعتذر عن التحليق بطائرة هيليكوبتر فوق الحدود .

ولم تطمئن صنعاء .

ولم يكن هناك من يعطيها مثل ذلك الإطمئنان الذي كانت تبحث عنه .. خاصة بعد ان استمعت واشنطن لشكوى اليمن من دون ان تعطيها اية ضمانات .. وسافر الأرياني الى موسكو يحمل معه نسخة باسم معاهدة صداقة ، كان عبدالفتاح اسماعيل قد وقعها باسم الشطر الجنوبي من اليمن مع موسكو ، تلزم مادتها الحادية عشرة الطرفين بالتعاون وتبادل المعلومات خلال الأزمات .

وحين التقى الأرياني مع وزير الخارجية السوفيتي ادوارد شيفرنادزه قال له :

– لقد جنّت اليكم لأننا نشعر ان أمننا في خطر ، ولكي تعرفوا مواقفنا الحقيقي مما يجري ، خاصة حول ما يردده الإعلام عن نيات عدوانية يمنية ، وانا

هنا لأقدم لكم كامل الضمانات بأن اليمن لا تفكر مطلقاً في الإعتداء على السعودية .. ونحن لا نريد منكم غير ان تقولوا لنا : اطمئنوا ، ولكم ان تفعلوا ذلك بإبلاغنا ما تحصل عليه أقماركم الصناعية عن الموقف العسكري على الحدود الشمالية بموجب معاهدة الصداقة .
وبالفعل ، أبلغت موسكو اليمن مرتين عشية الحرب ، بأن أقمارها الصناعية لم تحصل على ما يدل ان هناك تحركات عسكرية تشير الى هجوم محتمل ضد اليمن .

إلا أن هاجس الإحساس بالخطر ظل قائماً ..

وتذكرت حكومة اليمن ، في تلت اللحظة أن زائرهما القديم نورمان شوارزكوف قائد قوات التحالف ، الذي سبق له ان زار صنعاء ثلاث مرات في السنتين اللتين سبقتا اندلاع حرب جديدة في الخليج .. وقررت على الفور الاتصال بطرف امريكي ثالث تربطه بصنعاء وشوارزكوف صلات جيدة ، والطلب منه نقل رسالة الى الجنرال الامريكي تبلغه بان اليمن يشعر بالخطر ، ويحمل الامريكان مسؤولية أي عمل عسكري يقع ضدها ، وتعتقد الخارجية اليمنية ان تلك الرسالة كانت ضرورية في لحظة شعور بخطر محتم ، وتعود المخاوف المتبادلة في جذورها الى ثلاثين سنة مضت ، عندما انهار حكم الامام البدر إمام ثورة 26 سبتمبر (ايلول) 1962 ، وولدت جمهورية في اليمن ، لم تتمكن من انتزاع الاعتراف الرسمي السعودي بها حتى سنة 1970 ، اثر حرب مدمرة اشترك فيها الجيش المصري ، وكلفت البلاد دماً كثيراً .. ولم يغلق الاعتراف الرسمي السعودي الباب امام المخاوف وانعدام الثقة والتحوط المتبادل ، حتى ان القاضي عبدالرحمن الأرياني صرح الملك فيصل في قمة لاهور الاسلامية أوائل السبعينات ان السعودية ما تزال برغم اعترافها الرسمي باليمن ، تتحفظ على التعامل معه كدولة مستقلة ، فأجابه العاهل السعودي :

– لقد صح القول ان الخير من اليمن ، والشر من اليمن أيضاً ، ونحن لا نحتمل وجود جمهورية ، على حدودنا فيها شيوعيون وبعثيون وناصريون ..
فقال الأرياني :

– إن هناك جمهوريات قريبة منكم في العراق ومصر وسوريا والسودان وانتم تتعاملون معها ، فلماذا هذه الحساسية من اليمن بالذات ؟
فقال الملك فيصل :

– ليس من سبيل لكم إلا التخلص من الأحزاب بالبت .

وأدى توصل قيادتي شطري اليمن الى اتفاق لأعلان الوحدة ، وإعادة اللحمة الى البلد الواحد ، الى إشاعة أجواء الشك والقلق والتحوط مرة اخرى ، وتردد في مطلع 1990 ان قطعات سعودية تقدمت نحو مواقع على الحدود في منطقة (حضرموت) قبل أيام من موعد مجيء علي سالم البيض الى صنعاء ، واستنتج اليمنيون ان الحادث هو رسالة الى قيادتي الشطرين ، واختبار لمعرفة ما يمكن ان يصدر عنهما ، فقرر الرئيس صالح انتداب الشيخ عبدالله حسين الأحمر ليحمل رسالة الى السعودية :

– إذا لم تنسحبوا .. فإن الموقف قد يتطور الى ما هو خطير على البلدين ..

وانقسم المسؤولون السعوديون امام الرسالة اليمنية ، فقد كان الامير سلطان متشدداً في الدعوة الى عمل جدي لمنع اعلان الوحدة ، اما الامير عبدالله فكان يرى ان الوحدة يمكن ان تنهار من الداخل ، وليس امام السعودية غير ان تنتظر ولادتها ثم إنهيارها .. لكن الملك فهد أبلغ المبعوث اليمني : إننا نرحب بالوحدة اليمنية .. وستعود القوات السعودية الى مواقعها .

وبعثت القيادة اليمنية وزير في الوحدة في الشطرين يحيى العرشي وراشد محمد ثابت الى بغداد والقاهرة لتطلب منهما التدخل لدى السعودية ، وحصل الوزيران على اجابة مطمئنة من الرئيس صدام الذي شجع على الإسراع في قيام الوحدة ووعده بالتدخل لدى السعودية وطمأنتها ، اما الرئيس مبارك فقد قلل من اهمية القلق اليمني .

لكن علي عبدالله صالح لم يكتف بذلك كله ، فقرر في كانون الثاني (يناير) 1990 التوجه الى واشنطن ، مستخدماً طائرة الرئاسة العراقية ، حيث قابل هناك الرئيس بوش ومساعديه ورجال الاعلام ومديري الشركات ، وكان همه أن يؤكد سلامة نيات بلاده نحو السعودية) ويعطي التطمينات بان الوحدة لن تشكل خطراً على جيران اليمن .. (بل على العكس ستكون احد مصادر استقرار المنطقة) .

وعندما عقدت قمة مجلس التعاون العربي في عمان (شباط – فبراير) 1990 ، اشتكى الرئيس علي عبدالله صالح من عدم ترحيب السعودية حتى ذلك الوقت بالوحدة اليمنية المنتظرة ، في الوقت الذي لقيت ترحيب العرب الآخرين ، واتفق القادة الأربعة على أهمية ترتيب لقاء قمة سعودي – يمني ، فاتصل الرئيس صدام حسين بالملك فهد وطلب منه استقبال الرئيس صالح والاستماع مباشرة إلى كل ما يطمئنه حول وحدة اليمن ، وطار الرئيس اليمني بالفعل من عمان الى حفر الباطن ، ليلتقي مع الملك فهد في جلسة مغلقة ، خرج منها الاثنان ، وعلامات الرضا على وجهيهما ، وأدلى الملك السعودي بأول تصريح

يرحب فيه بالوحدة خلال لقاء تلفزيوني مع المذيع اليمني انور العنسي :

_ إننا نبارك الوحدة ونرى فيها بركة للأمة العربية والاسلامية .. ونؤيد الوحدة اليمنية بلا حدود .

وكاد ذلك الترحيب السعودي المقترن بعبارة (وحدة بلا حدود) ان يكون الاعلان الرسمي اليتيم ، عدا ما قاله وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل من عبارات ترحيب بالوحدة في كلمته امام مؤتمر وزراء الخارجية العرب عشية قمة بغداد أواخر شهر (أيار – مايو 1990) .

وعلى العكس مما تردد عن مخاوف السعوديين من وجود أخطار قادمة من الجنوب ، فان اليمن نفسها شعرت بالحاجة الى التحوط بعد ان سيطر عليها هاجس الخطر في الأيام الاولى لدخول القوات العراقية الى الكويت ، بحيث حمل علي عبدالله صالح مشروع اتفاقية عدم إعتداء وعدم تدخل في الشؤون الداخلية بين اليمن والسعودية عندما توجه لحضور مؤتمر القمة العربي في القاهرة (10 / 8 / 1990) ، وعرضه على الملك فهد بن عبدالعزيز ، الذي تأمل الفكرة ، واقترح ان تحال الدراسة إلى وزير الخارجية (الأرياني و الفيصل) ، وعندما جلس الإثنان لم يتوصلا الى اتفاق ، ورأى الوزير السعودي ان الامر بحاجة الى دراسة جدية معمقة ولا بد من تأجيله حتى وقت آخر ..

ولم يحدث أن أعاد أي من الطرفين بحث الأمر في وقت آخر .. خاصة بعد ان أشاع مسؤولون خليجيون فكرة (المؤامرة الثلاثية) التي تجمع العراق والاردن واليمن ، ثم صدقوا ما اشاعوا ، وسأل راشد عبدالله وزير الدولة للشؤون الخارجية في دولة الامارات خلال حضوره قمة القاهرة ، عضواً في الوفد اليمني هو سالم صالح عضو مجلس الرئاسة اليمني :

_ أستم مشتركين في مؤامرة ضدنا بعد ان عرض عليكم العراق ثلاثة مليارات دولار ؟

واعتقد سالم صالح ان الوزير الاماراتي كان يداعبه ، أكثر مما كان يحاسبه ، وفوجيء عندما نقل الأمر إلى رئيسه وأعضاء الوفد الآخرين على الطائرة في طريق العودة الى صنعاء ، أن الوزير الأرياني صاح من مكانه :

– لو عرض العراق مثل هذا المبلغ علينا لكان الأمر مختلفاً حقاً .. لكنه مع الأسف لم يعرض المبلغ ..

وضحك الجميع ، لكنهم في الأيام التالية تيقنوا ان الأمر ليس مجرد مداعبة ، بل إنه قناعة كانت تترسخ يوماً بعد آخر ، بعد ان صار صحفيون كبار مثل جاك اندرسن يتحدثون عن سيناريوهات اتفاق سري يرعاه العراق ، ومنذ ذلك الحين نشط اليمنيون لدحض هذه الفكرة والبرهنة على استقلالية موقف كل طرف في مجلس التعاون العربي من تطور الأحداث في الخليج ، وبخاصة مسألة الدخول الى الكويت .

وعندما تقابل وزير الخارجية اليمني مع وزير الخارجية البريطاني دوغلاس هيرد في القاهرة بعد شهرين من وقف إطلاق النار في الخليج ، ذكّر المسؤول اليمني بما كان يتردد حول (المؤامرة الثلاثية) وما يطلق من أوصاف على مجلس التعاون الرباعي :

– إنهم يسمونه مجلس التآمر العربي وليس مجلس التعاون العربي .

ثم ضحك وقال : الغريب أن الاسم المختصر في الحالتين ، باللغة العربية ، يحتوي الحروف نفسها (م . ت . ع) .

فأجابه هيرد : لا نعتقد أن مثل هذا الكلام كان صحيحاً .. وأنا لا أذهب إلى ما ذهب إليه الآخرون .

نيويورك – صنعاء :

كانت اليمن أغلى الأصوات في مجلس الأمن ، يمثلها الدبلوماسي الناشط عبدالله الأشطل ، الذي أظهر قدراً من التفرد وعدم التوافق مع بعض التعليمات التي تلقاها من صنعاء .. ووقع في حيرة عندما كان مطلوباً منها إعطاء موقف في وقت مبكر لم يجد فيه من يعطيه الإذن بالتصريح .. وعلى مدى أكثر من سنة ، كان الأشطل في مجلس الامن هو الرفض ، الممتنع ، الحائر ، الغائب عن المشاركة ، المتحفظ ، الموافق .

فعند التصويت على أول قرار لمجلس الأمن يوم 2 / 8 / 1990 ، وقع المندوب اليمني في حرج لانه يمثل تلك المجموعة العربية في المجلس ، وكان مطلوباً منه ان يدلي بصوته في مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات ، عند الفجر بتوقيت البلدان العربية التي لم تكن جامعتها العربية قد توصلت الى قرار جماعي مشترك من الاحداث . فاتصل بصنعاء ، بعد ان يتس من الحصول على قرار عربي يحمله الى العالم ، لكن الرئيس علي عبدالله صالح كان ساعتها خارج العاصمة ، ولم يكن يقدر عضو واحد من اعضاء مجلس الرئاسة اليمني الحاكم ان يصدر تعليماته في هذه الحالة ، وكان من حق المندوب اليمني ان يطلب تأجيل اجتماع مجلس الأمن أربعاً وعشرين ساعة ، لكنه وجد ان مثل ذلك الطلب لم يكن مريحاً للآخرين الذين استعجلوا في التعامل مع أزمة دولية خطيرة

، وصارت امامه الخيارات الآتية في التعامل مع القرار 660 :

– إما ان يعارض القرار .

– وإما ان يتغيب عن الاجتماع ، او لا يشارك فيه ، ثم يعود ليشرح موقف بلاده بعد ان يكون القرار قد اتخذ .. زوهذا ما لجأ اليه الأشطل لمعالجة الموقف حسب تقديره ، لتجد صنعاء نفسها امام امر واقع عند الصباح ، فتتبنى قرار مندوبها ، الذي نظر اليه الخليجيون على انه موقف غامض غير كاف بالحد الأدنى .

بعد أكثر من سنتين على صدور قرار مجلس الأمن 660 قال لي الدكتور الأرياني : كان الأفضل لنا ان نؤيد القرار ...

وحين طرح مشروع القرار 661 الذي يقضي بفرض الحظر الشامل على العراق ، إمتنع الصوت العري ، في مجلس الامن عن التصويت ، واكتفى المندوب اليمني بالإعلان ان بلاده برغم تحفظها على القرار المعبر عنه في الامتناع عن التصويت ، إلا أنها ستلتزم بهذا القرار .. وقد أبلغ الرئيس الأمريكي جورج بوش ، في وقت لاحق ، الرئيس علي عبدالله صالح انه يتفهم موقف اليمن في الامتناع عن التصويت على قرار فرض العقوبات ضد العراق .

وفي الثامن والعشرين من ايلول (سبتمبر) 1990 كان المتوقع ان تستمر اليمن في الامتناع عن التصويت على مشروع قرار جديد يفرض الحظر الجوي على العراق ، لأنها كانت قد اتخذت هذا الموقف من القرار ب 661 الذي فرض جميع اشكال الحظر على العراق ، فأصبح تلقائياً أن يظهر موقف يمني مكمل للموقف السابق .. إلا ان الأمر تطور في اتجاه آخر ، إنز كانت الحكومة اليمنية في مواجهة معضلة تدفق اليمنيين الذين طالبت المملكة العربية السعودية منهم مغادرة أراضيها ، فأزادت صنعاء عندئذ ان تستخدم صوتها في مجلس الامن ورقة في انتزاع قرار سعودي – امريكي لإيقاف تهجير اليمنيين .

في تلك الأثناء كان الروس يلحون على اليمن لتأييد القرار ، أما الأمريكان فقد قالوا لليمنيين ان أقل ما نتوقعه منكم هو ان تمتنعوا عن التصويت وتتحاشوا مقاومة القرار .

وخطر للرئيس علي عبدالله صالح ان يبلغ واشنطن وموسكو موقفاً جديداً: مادام الاجتماع على مستوى وزراء الخارجية ، فإن صنعاء ستؤيد القرار بشرط قيامكم بالضغط على السعودية لإيقاف تهجير اليمنيين لمدة ستة أشهر ليكون في مقدور الحكومة اليمنية ترتيب مستلزمات استيعاب هؤلاء العائدين .

وصار على الدكتور الأرياني ان يبدأ إتصالات عاجلة مع المسؤولين السوفييت والأمريكان ، فتحدث مع جون كيلي وكيل الخارجية الامريكية وادوارد غنيم (سفير واشنطن لدى الكويت بعدئذ) ثم هاتف المندوب الامريكي لدى الأمم المتحدة وهو يقطع بسيارته شوارع نيويورك ، وكانوا جميعاً سعداء بالموقف اليمني ، وشجعوا الدكتور الأرياني على تأييد القرار وعوده بالتحرك لدى السعودية لتحقيق المطلب اليمني ، اما السوفييت فكانوا أكثر سعادة وامتناناً ووعدوا من جانبهم بالعمل على إيقاف تهجير اليمنيين من السعودية .

عندئذ ، تلقى الدكتور عبدالعزيز الدالي (وزير الدولة للشؤون الخارجية) الذي مثّل بلاده في اجتماع مجلس الامن امراً محدداً :

صويت لصالح القرار .

لكن عبدالله الأشطل ، كان شديد التحفظ على تعليمات بلاده ، وأبلغ وزارة الخارجية في صنعاء عدم جواز اتخاذ هذا الموقف بعد ان كان قد امتنع عن التصويت على القرار 661 الذي حمل مفهوم الحظر على العراق ، وسيخلق الموقف الجديد مفارقة لا يحبذ وقوعها .

وأعطى الدكتور الدالي صوت اليمن بالموافقة ، لكن موسكو وواشنطن اللتين كانت قد وعدتنا بالضغط لتجميد القرار السعودي ، لم تقدا لليمن غير التمديد شهراً واحداً فقط للإنذار الممنوح لليمنيين بالمغادرة .. وهو الامر الذي زاد من الشعور بالمرارة في صنعاء .. والمرارة في نفس مندوبها بنيويورك الذي تمنى لو لم تقع بلاده ضحية وعود غير قابلة للتحقق .

وعندما سألت الرئيس علي عبدالله صالح إن كان راضياً عن الأشطل وكل ما اتخذته من مواقف ، أجابني على الفور :

– آه .. راض جداً ..

ثم استدرك : كان الأشطل شخصية متوازنة وهو ملتزم بكل ما تلقاه من تعليمات القيادة اليمنية ، ولم يكن ليقدّم على أي موقف قبل أن يعود إلى القيادة . على أن أهم كلمة (لا) أطلقها اليمن كانت عند التصويت على القرار 678 الذي أجاز استخدام القوة ضد العراق عندما وقف الأشطل ليعلن : أن هذا القرار يمنح المسؤولية في استخدام القوة ، لكنه لا يحدد أية طريقة لمراقبة استخدام هذا الحق والمحاسبة عليه ، وهو أمر أثار غضب واشنطن ولندن وموسكو على صنعاء ، وصار لازمة في الحوارات اللاحقة التي جمعت المسؤولين اليمنيين مع سواهم في الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها .. ولخص الأرياني رأيه بما حصل :

– لقد قلنا لا .. حتى لا يلعننا التاريخ العربي ، ولسنا نادمين على موقفنا .

دخل الى القصر الجمهوري بصنعاء فريق هندسي مغربي لتأسيس أجهزة التقاط وإرسال بالشيفرة السرية بين العاصمتين اليمنية والمغربية ، بهدف تمكين الملك الحسن الثاني من الاتصال الأمين غير القابل للإختراق مع الرئيس صالح ، وذلك بعد ان جرت مداوالات إحياء ما عُرف بالحل العربي . وكانت أطراف المحاولة الجديدة هي المغرب واليمن والأردن والجزائر وفلسطين بناءً على مبادرة يمنية حملها الدكتور عبدالعزيز الدالي الى المغرب يوم 9 / 9 / 1990 لعقد مؤتمر قمة عربي يبحث عن مخرج للموقف .

ووجد الملك الحسن الثاني ان عقد القمة قد لا يكون مناسباً في توقيته ، يومئذ ، بعد ان انقسم العرب على أنفسهم ، فأوفد مستشاره السيد احمد بن سوادة الى اليمن يقترح ان يتم تشكيل لجنة من الحكماء تذهب الى العراق والسعودية ، وتضم في عضويتها المغرب والأردن واليمن والجزائر ، على أن يتولى اليمن نقل المقترح الى العراق ، وتتولى المغرب نقل المقترح الى السعودية ، للحصول على موافقتهم مسبقاً ..

وهكذا ، فتحت أبواب القصر الجمهوري للفريق الهندسي المغربي ليكون صلة وصل لاتصال آمن بين صنعاء والرباط . وأبلغ بن سوادة اليمنيين ان سلطنة عُمان قد تنضم الى لجنة الحكماء ، إلا ان الرئيس اليمني ظل يعتقد ان مثل هذه اللجنة قد لا تكون إقوى في فعاليتها من مؤتمر قمة ، غير ان المبعوث المغربي طلب من الرئيس صالح ان يسعى لاستحصال موافقة بغداد على استقبال اللجنة ، وستكون تلك الخطوة مقدمة للتأكد من ان نصف الطريق سالكة ، بانتظار فتح نصف الطريق الآخر نحو السعودية .

هنا ، لم يكتف الرئيس اليمني شكوكه من ان الرياض قد لا ترحب بوجود اليمن في عضوية هذه اللجنة ، وقال :
_ أراهن ان اليمن لن تقبل بفي لجنة الحكماء .

وربما كان تيقن الرئيس من عدم الترحيب ببلاده متأثراً من معلومات وُضعت على طاولته عشية وصول المبعوث المغربي . وبالفعل .. أُستبعدت اليمن .. واقتصر الجهد العربي الجديد على الاردن والمغرب والجزائر ، وهو الأمر الذي جعل الرئيس علي عبدالله صالح يعاتب وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر حول تدخل واشنطن لإحباط تلك الجهود في وقت مبكر ..

وحين جرب اليمنيون المحاولة ، مرة أخرى ، مع الجزائر في 28 / 11 / 1990 انتعشت آمالهم ، ثم لم تكد ان خبت وتلاشت . فقد نقل وزير الخارجية عبدالكريم الأرياني الى الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ان صنعاء تعد مبادرة للحل السياسي وتطلب دعم العرب الآخرين ، فأجابته :

_ أشكر الجميع على جهودهم ، لكنني منشغل الآن بجهد خاص أقوم به بناءً على طلب جهات اوربية عالية ، وأنا على اتصال دائم مع العراق والسعودية ، لذلك أرجو تأجيل أي تحرك حتى أقوم بمهمتي . وأرجو إبلاغ أخي الرئيس علي عبدالله صالح أنني لن أغانر الجزائر إلا بعد الحصول على ضمانات كافية لنجاح مهمتي من العراقيين والسعوديين .

وبدا في تلك الأيام ، ان الشاذلي بن جديد قد يتوصل الى حل ، وهو يتنقل بين العواصم الأوروبية ، حتى إذا وصل عمّان ، وجد ان بياناً سعودياً يغلق الباب في وجهه عندما أعلن ان السعودية غير متحمسة لإستقباله والبحث في مشروع الحل الذي يحمله .

لم يكونوا قد أبلغوا الرئيس الجزائري ان مهمته مرفوضة ، وهو ما يزال في بلاده ، ولكنهم انتظروه يخرج الى العالم ، حتى يدرك هو والساعون الآخرون الى حل خارج قرارات مجلس الامن .. انهم يستحقون معاملة من النوع الذي أظهره السعوديون .. وكان اندحار الأمل بعد انتعاشه أشد قسوة من الفشل المبكر الذي يسبق نشوة الأمل ...

صنعاء : 22 / 11 / 1990

لم يكن يومان قد مضيا بعد على أكبر مظاهرة في صنعاء رفع المشاركون فيها شعارات معادية للولايات المتحدة وتدخلها العسكري في منطقة الخليج .. حتى استقبل الرئيس علي عبدالله صالح وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر ، ضحى 22 / 11 / 1990 ، قبل اسبوع واجد من التصويت في مجلس الأمن - الذي كانت ترأسه اليمن - على القرار (678) الذي يفوض بإستخدام القوة العسكرية ضد العراق .

ودار بين الرجلين حوار من أشد الحوارات نديةً وحسماً ، ولكم يفوت الرئيس اليمني ملاحظة او رأياً إلا وثبت تعليقه عليه ، وكانت المفردات مدببة ، واضحة ، مباشرة سواء بما حملته من تهديد لليمن ، او أستقراء لمستقبل غامض في المنطقة .

وقد طلب بيكر تطوير الموقفين الأمريكي واليمني في مجلس الامن ليكونا أكثر توافقاً لمحملاً ان واشنطن ستعمل على تخفيف درجة العداء السعودي لليمن .. ثم لم يلبث ان بيّن بقوة ان العمل العسكري قادم ضد العراق :

– إن أحداً لا يحرك قوة عسكرية بهذا الحجم إلا إذا كان جاداً للقيام بعمل عسكري كبير .

سأله الرئيس اليمني :

– هل هناك خلاف بين واشنطن وبغداد .. ؟ إن علينا ان نفضل الحال بين العراق وامريكا عن الحال بين العراق والأمم المتحدة ..

فعاد بيكر يشرح خطورة ما بلغه العراق من قوة عسكرية تضم اسلحة الدمار الشامل بما فيها القنبلة النووية التي يبدو لها ان بغداد على وشك تطويرها ،
فرد الرئيس علي عبدالله صالح :

– لكن العراق رغم قوته ليس أخطر من إسرائيل على السلام ..

قال بيكر :

– العراق هو الذي تحرك وهدد الآخرين ..

فعلق الرئيس :

– مع ذلك فإن إسرائيل هي التي تبدو رافعة العصا دائماً ..

– إن الفرق بين إسرائيل والعراق ، هو ان صدام حسين يقوم بهذا العمل في لحظة حرجة بالنسبة للوضع الدولي .

كان الرئيس صالح يتتبع كل كلمة ويرتك بصماته في إجابات محددة مباشرة لا تقبل التأويل ، وتطلع الى الوزير الأمريكي :

– يبدو أننا سنختلف في بعض الأمور ، وانت هنا ستجد الأشياء بوضوح ربما بمستوى لم تجده في عواصم عربية اخرى زرتها واستمعت الى آراء قادتها

فقال بيكر :

– إن القضية معرفة قوية بصدام حسين ، وأرجو ان تنقلوا إليه ان القضية ليست لعبة ، ونحن من ناحيتنا سنعمل للتأثير على السعودية لحل مشاكلها معكم .

فسأل الرئيس فوراً :

– هل تعتقد ان قرار مجلس الأمن هو لخدمة المجتمع الدولي والكويت ، ام انه لخدمة آخرين في المنطقة .. ؟

واستطرد : لو كنتم جادين وعادلين ، لرأيتم أوضاعنا ، إن لدي مليوناً ونصف المليون من اليمنيين المهاجرين لم يتحرك احد من أجلهم ، في حين تحركتم بجيوشكم واساطيلكم في الخليج واتخذتم قرارات في مجلس الامن خلال وقت قصير جداً من الزمن .. إن الحرب كلها هي حرب عيش ، وحرب غذاء وخبز واقتصاد .. فلماذا لا تتدخلون من أجل مليون ونصف المليون من اليمنيين .

كان بيكر يستمع بدقة الى الترجمة التي تلاحق كلام الرئيس دون ان يعلق بشيء على مشكلة اليمنيين الذين تدفقوا عائدتين من السعودية والخليج ليضيفوا عبئاً اقتصادياً على البلاد ، وليتسببوا في اختناق منظومات الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية التي تتكفل بهم ، ناهيك عن خسارة اكثر من مليار ونصل المليار دولار من تحويلاتهم .

عاد الرئيس يستعيد ما حصل :

– لو كانت هناك ديمقراطية لما وجدت كل هذه المشاكل ، وما زلت أرى ان الحل السلمي ممكن ، وعلينا ان نبحث عنه خارج قرارات مجلس الأمن ، لأن هذه القرارات لن تأتي بالسلام ما دام العراق غير قابل بها ولم يكن قد اشترك فيها .

وحذر الرئيس اليمني ، الوزير بيكر من اولئك الذين يحرضون على توجيه الضربة للعراق :

– أما نحن فلسنا مع احتلال العراق للكويت وإذا افترضنا ان هذا خطأ ، فلا يجوز ان نعالج الخطأ بالخطأ .

سأل بيكر : ما هو احتمال السلام إذن ؟

فأجاب الرئيس :

– إن علينا ان نبحث في الأسباب التي أدت بالعراق للقيام بعملية الكويت ، وأنداك يمكن ان نتوصل الى معالجات شاملة وجدية لأسباب المشكلة ونحلها ونصنع سلاماً مستقراً .

فرد بيكر : هذه فكرة ممتازة ، ولكن ليخرجوا أولاً من الكويت .. اما ان نعطي العراق شيئاً فان هذا يعني لنا خسارة .

قال الرئيس : من أجل السلام ليست هناك خسارة ، والولايات المتحدة ليست غرينادا حتى تكون عاجزة عن حفظ السلام .

- وعاد مرة اخرى الى عرض الموقف العربي يومئذُ: لقد أصبحتم اليوم في مواجهة مع العرب وليس مع العراق وحده .
- كانت شوارع صنعاء ما تزال في تلك الساعة التي التقيا فيها تموج بمجموعات متناثرة من المتظاهرين الذي يطالبون برحيل القوات الامريكية ومساندة العراق في وجه هجوم محتمل ضده .
- قال الرئيس علي عبدالله صالح :
- لقد صار يقال إن قرارات مجلس الأمن هي قرارات امريكية .. فعلق جيمس بيكر : نحن الدولة الوحيدة التي تقود المجتمع الدولي اليوم .
- إذن ابحثوا عن حل غير الحرب ..
- وأضاف الرئيس :
- لماذا لا تقبلون بتسليم الجزر وحقل النفط الى العراق بعد انسحابه من الكويت ؟
- نحن لا نسأل ماذا نعطي للعراق .
- هنا قدم الرئيس اليمني وصفاً لما يمكن ان يحصل بعد ان بدا الحوار متفرقاً بين الرجلين :
- ليكن واضحاً أن العراق لن يكون خاسراً إذا ما ضربتموه ، فسيقول ان الذي ضربه هي الولايات المتحدة وحلفاؤها وليس دولة صغيرة ..
- فرد بيكر : سنضرب العراق بطريقة تؤذي صدام حسين .
- فقال الرئيس : الضربة .. هي الضربة .. وفي كل الاحوال فان العراق مستعد للإنسحاب من الكويت ويمكن الإتفاق على كل التفاصيل ثم ان السعوديين على إستعداد هم أيضاً .
- فعلق الوزير الأمريكي : إننا لا نعتقد ان هناك حلاً عربياً .
- فرد الرئيس اليمني : لقد أنقسمنا .. وأضاف : أننا نؤيدكم في السلام وليس في استخدام القوة ، ونحن جزء من المنطقة وقريبون من منطقة الانفجار .
- وعاد جيمس بيكر يستعير وصف (سحابة صيف) كان ال رئيس صالح قد أعطاه للموقف ليكرره ويعلق عليه :
- إنها سحابة صيف حقاً ولكنها ستُنزل مطراً كثيراً .. وبوارجنا ستبقى في الخليج لأنها هنا منذ سنة 1947 ..
- واضاف : أما ما يتعلق بالوضع بينكم وبين السعودية فإننا لن نكون راضين إذا تحركت السعودية او اليمن .
- فعلق الرئيس اليمني :
- القوات الامريكية في المنطقة أصبحت (حبوب شجاعة) لبعضهم .. ومن ناحيتنا اذا أعطينا كلمة فنحن ملتزمون بها ..
- وإزادات كلمات الرئيس حزمًا ودقة وهو يخاطب الوزير الأمريكي :
- نحن دولة ولسنا عصابة ، نعم نحن بلد فقير ولدينا هموم اقتصادية ، ولكن ليست لدينا أطماع في الآخرين ، وإن أي تحرش ضدنا سنعتبره تحركاً أمريكياً لأنهم لا يستطيعون التحرك إلا بحمايتكم .
- وسأل الرئيس :
- لماذا لا تهتمون بقضية فلسطين .. لا شك انكم تكيلون بمكيالين .
- أجاب جيمس بيكر :
- لا نوافق على الربط بين قضية الكويت والقضايا الأخرى .
- على أية حال لدينا حل عندما تكونون مستعدين لذلك ، بشرط عدم استخدام كلمة حل عسكري ، ونحن نرى ، مع الأسف ، ان جميع الوسائل قد استنفذت وصار الحظر كاملاً على العراق ، ولم يبق غير القوة ..
- قال الوزير الامريكي : أعرف أن اليمن لن توافق على استخدام القوة .
- قال الرئيس صالح :
- إننا لا نريد ان يصدر قرار استخدام القوة ضد العراق ، في الوقت الذي تترأس فيه دورة المجلس .
- أما نحن فنفضل ان يصدر القرار قبل انتهاء رئاسة اليمن .
- قال الرئيس : هل نقدم أفكارنا للحل السياسي لكم ، ام عن طريق ثالث .
- فرد الوزير بيكر : أي تفاوض مع العراق قبل الانسحاب غير ممكن ..

فقال الرئيس : سنوظف علاقتنا مع العراق من أجل السلام .
 وطلب بيكر ان لا تصوّت اليمن ضد القرار ، بل تكتفي بالإمتناع عن التصويت .
 – لأن التصويت ضد القرار هو موقف ضد الولايات المتحدة .
 فعلق الرئيس صالح : إنكم تبحثون عن مصالحكم وليس عن مصالح الآخرين .
 فقال الوزير بيكر : .. لأننا لم نكسبكم لصالحنا ..
 هنا وجه الرئيس سؤالاً حساساً للوزير الأمريكي :
 – ماذا قدمتم لليمن .. ؟
 – لقد تدخلنا لمنع تسفير المغتربين اليمنيين من السعودية .
 – نحن الان ننتظر مساعدة من الآخرين ، ولكن من الولايات المتحدة .
 ابتسم بيكر وخاطب مضيفه :
 – لقد قال السعوديون لنا ان مهمتي ستفشل في اليمن ، وان اليمنيين سيستخدمون الزيارة لصالحه ، وقد حذروني من زيارتكم .
 لم ينته الحوار بعد انتهاء جلسة العمل الموسعة التي جمعت نائب الرئيس اليمني علي سالم البيض ووكيل الخارجية الامريكية جون كيلي ، إنزّ عاود
 الرئيس صالح والوزير بيكر حوارهما الصعب على مائدة الغداء ، يتوسطهما الوزير الارياني الذي تولى الترجمة بينهما .. قال الرئيس :
 – يجب ان تقرّوا انكم منعتم الحل العربي ولم تعطوه فرصة العمل ..
 أجاب بيكر : لقد أعطيناكم أكثر من ثلاثة اشهر . وهذا وقت كاف .
 فرد الرئيس : لا بل إنكم أفشلتم الحل العربي عندما تدخلتم لدى الملك الحسن الثاني في الوقت الذي كنا على وشك بلوغ مستوى مناسب لعمل ..
 تدخل جون كيلي : لم نوقف جهودكم وجهد المغرب ، ولكننا قلنا للملك الحسن الثاني إن أي حل خارج القرار 661 مرفوض من قبلنا ..
 سحب الرئيس أنفاسه العميقة وخاطب بيكر وكيلي :
 – من الاحسن لكن إذن ان تذهبوا الى الحرب .
 وتعلّق الحوار .. فأدرك الجانبان أنهما مختلفان على كثير من الأمور ، رغم أنهما ، حتى في تلك الظروف ، كانا يفضلان دائماً أن يصفيا العلاقات الثنائية
 بأنها جيدة .

بغداد : 14 / 12 / 1990

في الوقت الذي كانت الفعاليات الشعبية في اليمن تتدافع للتطوع والإلتحاق بالجبهة العراقية كانت حكومة اليمن تتشبث بأية فرصة للبرهنة على انه تؤيد
 جهود إيجاد حل سياسي للأزمة ، وبخاصة عندما تكون هذه الجهود مقبولة من دول التحالف ، مستندة الى مبدأ الانسحاب من الكويت ، مع توفير
 ضمانات عدم مهاجمة العراق ، والاستجابة الى مطالبه ، لذلك ما كاد الرئيس جورد بوش يعلن – بعد صدور قرار مجلس الامن 678 الذي يجيز استخدام
 القوة ضد العراق – بأنه مستعد للمضي ميلاً في اتجاه السلام داعياً وزير خارجية العراق الى واشنطن ، وعارضاً إيفاد وزير الخارجية الامريكي الى بغداد
 .. حتى وجه الرئيس علي عبدالله صالح رسالة الى الرئيس الامريكي سلمها وزير الخارجية اليمني الى سفير الولايات المتحدة في صنعاء ، وكان مضمون
 الرسالة يتحدد بالآتي : " إن اليمن تؤيد إعلان بوش ، ونحن نضع يدنا في يدكم ما دمتم قد قررتم الذهاب ميلاً آخر نحو السلام " .
 وبيّن الدكتور الأرياني ان الخطوة اليمنية جاءت من منطلق ان الظاهر والباطن في الاعلان الأمريكي هو واحد ، وان التعامل قد جرى مع السياسة المعلنة
 ، ويضيف : كنا نتحدث بدون أي تستر بالباطنية ..
 واجتمعت القيادة اليمنية لرسم شكل الخطوة التالية وقررت إيفاد وفد كبير الى بغداد ، فاتصل السيد علي سالم البيض نائب الرئيس اليمني بالسيد عزة
 ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي وأبلغه بقدوم وفد برئاسته الى بغداد ، فلقي ترحيب المسؤول العراقي على الفور .
 وكان الرئيس علي عبدالله صالح وكبار مساعديه قد اتفقوا في الاجتماع ان الحرب إذا بدأت فان احدًا لن يستطيع ان يضع لها نهايات منضبطة ، وان لهيب
 الانفجار سيصيب الجميع ، ولن تقتصر آثاره على جبهة العراق والكويت وحدها . ولم يجد القياديون اليمنيون إلا انتداب نائب الرئيس للتوجه الى بغداد ،

وإبلاغ القيادة العراقية رسالة جرى وضع مفرداتها بدقة شديدة ، وأودعت لدى السيد البيض ، وتحتوي المضمون الآتي :

– إن احتمال عقد لقاء عراقي – أمريكي في واشنطن عندما يزورها طارق عزيز هو الفرصة الأخيرة لصنع السلام ، ومنع اندلاع الحرب التي لو وقعت فستؤدي الى نتائج خطيرة على الجميع بمن فيهم أهل اليمن ، وإذا كنتم أنتم في العراق أقوياء وقادرين على التعامل مع هذا الإحتمال ، فإننا في اليمن ضعفاء ، ونشعر أننا مستهدفون في حالة الهجوم عليكم .

وتقرر ان يطير الوفد الى عمان ، ومنها الى بغداد ، ووجد الرئيس علي عبدالله صالح ان اللياقة تفرض ان يمكث نائبه في عمان لملاقاة عاهل الأردن فيها ، فرفع سماعة الهاتف على الملك حسين يعلمه بقدوم البيض لملاقاته في عمان ثم التوجه الى بغداد .. فرحب الملك الحسين وقال له :

– ليمر علينا الأخ البيض غداً ، وسنذهب سوياً الى بغداد ..

لم يكن الملك حسين قد أحيط علماً بوجود رسالة يحملها البيض الى بغداد ، ولذلك اقتصر العرض الذي قدمه الوفد اليمني على استعراض خطورة الموقف وضرورة السماح بسفر جميع الغربيين المحتجزين في العراق قبل انعقاد اللقاء العراقي – الأمريكي المقترح .. ولم يخطر ببال أحد ، ان الجميع سيلتقون في لقاء قمة تلتئم بالصدفة في بغداد ، إنزً بينما كان بعض أعضاء الوفود يتناولون القهوة في قصر رئاسة ببغداد ، دخل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ، ليستنتجوا على الفور ان اللقاء قد توسع كما لم يكن يخطر ببال اليمنيين ، ولم يجر الاتفاق عليه ، لكن قمة رباعية غير محط لها قد صارت محتمة الالتئام في بغداد لتجمع العراق واليمن والأردن وفلسطين يوم 4 / 12 / 1990 .

تحول اللقاء على مائدة الغداء في القصر الجمهوري ببغداد الى جلسة عمل ، عندما تحدث الملك حسين عن مسألة احتجاز رعايا الدول الغربية في العراق ، وكان يرى ان الوقت قد حان لحسم هذا الموضوع الشائك ما دام وزير خارجية العراق سيتوجه الى واشنطن لمقابلة الرئيس الأمريكي ، حتى لا تكون مسألة هؤلاء المحتجزين عائقاً أمام مهمته .

وأيد ياسر عرفات ، ما ذهب اليه الملك حسين ورأى ان الفرصة قد حانت لطياً هذه الصفحة واتفق علي سالم البيض معهما على ما دعياً إليه ، أما وزير خارجية اليمن عبد الكريم الأرياني فقد تحفّز ليبين أن العاطفة هي التي تسيّر المجتمع الأمريكي ، وعندما يكون هناك فرد أمريكي واحد في محنة فان هذا المجتمع لا يفتح عينيه على معاناة أمم كاملة ولا يرى عندئذ غير قضية فرد أمريكي واحد ، وذهب إلى أن الإدارة الأمريكية والإعلام الأمريكي سيركزان على هذه المسألة لدى زيارة عزيز المتوقعة بهدف تحويل الاهتمام من صنع سلام مع العراق الى مجرد مسألة رهائن .

ورأى وزير خارجية العراق أن هناك (فرصة ممكنة لتحقيق سلام شامل وعادل في الخليج ولبنان وفلسطين ونزع أسلحة الدمار الشامل من دول المنطقة لتنعّم في مناخ الانفراج والاستقرار ، ولذلك لا يجوز أن تنحصر المناقشات في مسألة الرهائن وحسب .)

وأوضح صدام حسين (ان زعماء العالم الذين يقاومون الحرب وسياسات الإكراه والتسلط قد جاءوا الى العراق واستمعوا الى وجهة نظره ، ولولا وجود هؤلاء الرعايا الأجانب في العراق لما توافرت فرصة عرض آراء العراق وموافقة ولما زار أولئك السياسيون البارزون ببغداد في هذا الطرف .)

ودعا الرئيس العراقي وزراء الخارجية للاجتماع بهدف وضع إجراءات عملية لدعم موقف العراق خلال محادثاته المرتقبة مع الولايات المتحدة والبحث في تفاعلات الأزمات على أساس أن الأفكار التي يخرج بها هذا اللقاء يمكن أن تجدد نشاط مجموعة الحل العربي عندما يلتقي في الجزائر وزراء خارجية الأردن واليمن وتونس والسودان ومنظمة التحرير الفلسطينية والجزائر وموريتانيا ، وربما المغرب أيضاً .

واتفق طارق عزيز ومروان القاسم والارياني وياسر عبدربه وعبدالله الحوراني ، الذين ضمهم الاجتماع ، على حيوية الربط بين مشاكل المنطقة ، وإن وجدوا أن الصيغة العراقية ليست الوحيدة الممكنة في هذه العملية ، كما اتفقوا على إطلاق نصف الرعايا الغربيين الموجودين في العراق .

في تلك الأثناء ، كان القادة الأربعة يواصلون لقاءهم في مكان آخر داخل القصر الجمهوري ، حيث قدم صدام حسين عرضاً للموقف العسكري ، وأثار الملك حسين والرئيس عرفات و البيض كثيراً من الأسئلة حول احتمالات تطور الموقف ما لم يتم التوصل الى حل سياسي . وكان جواب صدام : اطمئناوا إن لدينا قدرات وأسلحة تجعلنا ننتصر في الحرب إذا وقعت ..

وما كادت القمة – الصدفة تنتهي ، حتى انطلق الملك حسين عائداً الى عمان ، وتوجه عرفات الى تونس ، اما البيض فتكلم عبر الهاتف مع الرئيس صالح في صنعاء ، وأعطاه عرضاً لما دار في اللقاء ، وسأله الرئيس : هل نقلت رسالة القيادة اليمنية الى الرئيس صدام ؟ .. فأجاب البيض إن عرض الرسالة أمام

القادة الحاضرين لم يكن ممكناً .. ومن هنا ، مكث نائب الرئيس اليمني في بغداد وطلب مقابلة الرئيس على انفراد ، لينقل إليه رسالة القيادة اليمنية :

استمع صدام حسين بإمعان وقال :

– اطمئناوا .. ولا تقلقوا .

كانت تلك آخر عبارة حملها البيض من بغداد في آخر زيارة له قبل أكثر من شهر على اندلاع الحرب .

القاهرة : 12 / 1 / 1991

– أعداؤنا الذين يحرّضون الاعلام المصري علي مهاجمة اليمن ، هم كمن يأكل الثوم بقم غيره .

قال الأرياني : ففوجيء الرئيس مبارك بما يسمعه :

– ما هذا .. أنتي رجل حصيف ، ولم نتعود منك استخدام أوصاف قاسية من هذا النوع .

كان اليمنيون شديدي التحسس مما تنشره الصحافة المصرية ، حو موقف بلادهم في أزمة الخليج – وبخاصة ما تروجه حول (المؤامرة الثلاثية) ..
استدرك الأرياني :

– إنك تعلم قبل غيرك ان اليمن ليس طرفاً في مؤامرة ، بل لا توجد مؤامرة أصلاً ، حتى اننا في مجلس التعاون العربي كنا مع رأي مصر حول عدم إعطاء المجلس أية صفة أمنية او دفاعية ، كما كان يقترح الإخوان في العراق والأردن .

وتطلع الى عصمت عبدالمجيد واسامة الباز اللذين حضرا اللقاء :

– عندما أقول اذا لا أعني ان العراق والأردن كانا متآمرين على أحد .. وإذا كانت لديكم أدلة فأعلنوها .. وأين هي أدلتكم علينا .. إننا بصراح نشعر بأننا مجروحون ..

وسحب الوزير اليمني الورقة التي كتبت عليها مبادرة صنعاء للحل السياسي .. وبدأ أسامة الباز بقراءة الورقة ، ثم ما كاد ينتهي حتى سأله المصريون :
– هل انتم متفقون مع العراق على هذا الكلام ؟ .

كانت التعليمات التي تزود بها الأرياني تطلب اليه نفي ان تكون اليمن قد أعلنت العراق مبكراً بهذه المبادرة :

– إننا مستعدون للذهاب الى بغداد إذا أخذنا موافقة مصر على مبادرتنا .

لم يعطه الرئيس المصري رأياً محدداً ، تأمل المبادرة طويلاً ، ثم قال :

– هل تحب ان تقابل جيمس بيكر الموجود لدينا ..

كان اليمنيون قد استبقوا المصريين ، إنزّ أعلموا سفارة الولايات المتحدة في صنعاء ان وزير خارجيتهم سيكون في القاهرة أثناء وجود الوزير الأمريكي ، برغم معرفة المسؤولين اليمنيين ان واشنطن مستاءة من صنعاء التي صوتت ضد قرار مجلس الامن 678 ، ولكن ذلك لم يكن ليغلق الباب تماماً .
قال الرئيس المصري : سنرى إن كان بيكر يرغب في مقابلتك وستصل بك في الفندق .

بعد عشرين دقيقة ، رن جرس الهاتف في فندق الميرديان بالقاهرة ، ليجد الأرياني على الخط أسامة الباز وهو يقدم له الوزير بيكر الذي بدأ حديثه بلهجة حادة :

– لقد أطلعني المصريون على مقترحاتكم .. في جميع الأحوال لكن علاقة بالعراق .. وأريدك ان تذهب الى بغداد وتقول لهم .. إنه إذا جاء يوم 15 كانون الثاني (يناير) ولم ينسحبوا من الكويت فإن السماء ستمطر عليهم جحيماً ..

ساءت لهجة بيكر الوزير اليمني الذي قال : على أية حال جهودنا مستمرة كصنّاع سلام .

وانتهت المحادثة الهاتفية القصيرة ، بعد ان طلب الوزير الامريكي من جون كلي وبوب كيميت ان يتوجها لملافاة الأرياني ومناقشته في مقترحاته بالتفصيل .

كانت القيادة اليمنية قد قررت عدم تسليم الامريكان النص الكامل للمبادرة على أساس ان المقترحات تعني العرب ولا بد من تداولها رسمياً بينهم قبل ان تسلم الى الآخرين ، ولذلك استعاضت الخارجية اليمنية عن المبادرة المدونة بصيغتها الكاملة ، بأن وضعت ، باللغة العربية ، على ورقة منفصلة ستة أفكار ، لم تكن بالنص الحرفي للمبادرة .

طلب كلي وكيميت من الوزير اليمني نص المبادرة ، فاعتذر لهما ، وقدم بدلاً عنها الورقة غير الرسمية ، التي لم تكن تحتوي مبدأ عودة الحكومة الكويتية الى السلطة بعد الانسحاب .. لم يتوقف الدبلوماسيان الامريكيان عند المبادئ التي عرضها الأرياني ، ولكنهما قاوما اقتراح رفع الحظر وإبطال العقوبات

المتخذة ضد العراق بعد الإنسحاب من الكويت .

– ماذا تقصدون بهذا ؟

أجاب الأرياني : نقصد ان تنتهي فعالية العقوبات بصدور قرار جديد يلغي القرار 661 .

قال كيبي : إننا سنواصل فرض الحظر على التسلح في كل الأحوال .

فعلق الوزير اليمني : أسف .. إنني لا أستطيع ان أنقل هذا الى العراقيين لأنني أفهمهم وأعرف رد فعلهم ..

هنا ألح الجانب الامريكي ان تتضمن المبادرة اليمنية مبدأ استمرار حظر شحن السلاح الى العراق وقال : ثم هل تكلمتم مع العراق .. وماذا يقولون ؟ ..

– أسف مرة اخرى .. إننا لا نستطيع ذلك ، وفي هذه الحالة ، فإن مبادرتنا ستكون ملغية ، ونحن لا نتكلم نيابة عن العراق ، ولكنني أتكلم من منطلق معرفتي

بالعراقيين الذين لن يوافقوا على مبادرتنا ما لم تتضمن إبطال فعالية القرار 661 .. أما إذا أردتم منع السلاح ، فأنتم صنّاعه ومنتجوه أمنعوه من جانبكم

، وليس شرطاً عن طريق الأمم المتحدة .

قال كيمييت : سننقل أفكارك الى جيمس بيكر .

– في كل الأحوال أريد جواباً خلال 24 ساعة لانني أتوقع ان أكون عندئذ في بغداد .

ولم يجب الأمريكان على المبادرة اليمنية .. أما الاعلام المصري فصار يتحدث عن نسختين من المبادرة قُدمت إحداهما للرئيس المصري ، وقُدمت الثانية

للدبلوماسيين الامريكان ، وتبين للأرياني الذي تكلم لاحقاً مع الصحفيين المصريين ، ان الخارجية المصرية طلبت منهم ترديد ان المينيين يراوغون

ويقدمون نسختين متناقضتين من مبادرتهم لتحاشي ذكر عودة آل صباح الى الحكم في الكويت .

بغداد : 14 / 1 / 1991

انطلق الوفد اليمني الى بغداد عبر عمان وهو يضم رئيس الوزراء العميد مجاهد ابو شوارب وزير الخارجية عبدالكريم الأرياني ، وعقد لقاء موسع مع

الرئيس صدام حسين ، أوجز فيه الجانب اليمني بما دار في القاهرة مع الرئيس المصري والدبلوماسيين الأميركيين ، ثم صار لقاء بغداد بعدئذ موضوعاً

يشغل الاعلام الخليجي الذي تحدث عن محضر سري للقاء حصل على نسخة منه كانت متروكة على طاولة احد المسؤولين العراقيين في الكويت .

وذكر العميد ابو شوارب ان المحضر الذي نشر لاحقاً لم يكن دقيقاً وانطوى على حذف وإضافة ، وأكد الأرياني ان هناك نقصاً أساسياً في هذا المحضر

خاصة من كلام الجانب اليمني بالدرجة الأولى .

– لقد عودتنا أثناء الصراع مع ايران بأنك صاحب مبادرات كبيرة .. ولذلك فإننا نتوقع منكم مبادرة في هذه اللحظة التي نواجه فيها الانفجار الكبير .

كانت تلك مداخلة العميد أبو شوارب ، أمارئيس الوزراء السيد حيدر العطاس فقد دعا الى الانسحاب من الكويت وتقدير المخاطر المحتملة ، ثم استمع

طويلاً الى الرئيس صدام حسين الذي تحدث عن الاستعداد لمواجهة حرب وشيكة الوقوع ، وعن مستقبل المنطقة بعدها .

لقد كان اليمنيون معنيين بمعرفة مدى استعداد العراق للإنسحاب في الوقت الذي كانت بغداد قد استبعدت هذا الاحتمال في اللحظات الحاسمة القلقة

المتبقية من مدة الإنذار المعطى للعراق .

قال صدام حسين :

– ليس أمامنا إلا الصمود .. وإذا تراجعنا في هذه اللحظة فسيحصل الانهيار .. ولذلك نفرض المواجهة .. الأفضل ان نموت في قمة الهرم بدلاً من الموت في

القاع .. وليس لدينا أية ضمانات لو انسحبنا .. فلماذا نستسلم في آخر لحظة .. ؟

وابدى الأرياني محاوفه في ضوء ما استمع اليه من جيمس بيكر :

– إنهم سيحاربون اذا لم تنسحبوا من الكويت .. هذا ما توصلت اليه في القاهرة ، فالجو هناك جو حرب .

قال الرئيس صدام حسين : إن الانسحاب دون ان يفاوضوننا على حل شامل وكامل أمر غير مقبول .. هذا بالنسبة لنا كفر ..

فأجاب الأرياني : سيادة الرئيس .. لكن ناقل الكفر ليس بكافر ..

كان الحوار كئيباً ، ومتقطعاً .. ينتقل من موضوع الى آخر ، ماذا دار في القاهرة ، ماذا أعدوا للحرب .. ؟ ما صورة المنطقة بعد الحرب لو وقعت .. ؟

انسحاب أم لا انسحاب .. ؟

توقع الرئيس صدام حسين ان يتصدع الموقف الامريكي الداخلي بفعالية الضغط من جانب الرأي العام ، في حين رأى الأرياني ان كلام الامريكان يدل على أنهم متوجهون الى الحرب ، وانه بعد انتهاء موعد الانذار لن يتكلم احد مع العراق ... وذكر ان الكونغرس أعطى موافقه لبوش على استخدام القوة البشرية

في تلك الاثناء أدخل أحد المرافقين الى الاجتماع رسالة عاجلة من الرئيس ياسر عرفات يذكر فيها ان أدغار بيزاني رئيس معهد العالم العربي في باريس قد اتصل به وأعلمه ان طائرة وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما جاهزة للإطلاق الى بغداد إذا أعلن العراق استعداده للإسحاب .
وعلم الرئيس صدام حسين : لك ان تروا بأنفسكم كيف يتعاملون معنا بعدم احترام .. فوزير خارجية فرنسا يصعب عليه المجيء الى بغداد للتفاوض حول الأزمة الا اذا كنا قد التزمنا له مسبقاً .. انهم لا يتعاملون معنا بنديّة واحترام وتكافؤ ...
.. وانتهى اللقاء .. ويقول اليمنيون ، إنهم ودّعوا العراقيين وداع من قد لا يلتقي بعدها مرة اخرى .

يبدو الحكوميون اليمنيون ، من كثرة ما يرددون حول عدم مسؤوليتهم عن الذي حصل في الكويت ، وكأنهم يدفعون تهمة عنهم : ناهيك عن التذكير بعدم وجود أية صفقة سرية مع العراق ، وكانوا يجدون في كل مرة يذكرهم فيها الامريكان بأنهم أصدقاء للعراق ، ان هذا التذكير ينطوي على اللوم وعدم الرضا .. ويرى الأرياني فيه (توجيه التهمة أيضاً) كما بدا له خلال المحادثة الهاتفية التي تلقاها من جيمس بيكر في القاهرة يوم 12 / 1 / 1991 .

ولا ينسى الرسميون في اليمن ان ينوّهوا بأن أول مظاهرة خردت في العاصمة كانت ضد دخول القوات العراقية الى الكويت وشارك فيها بضعة مئات من الناس ، قبل ان تخرج بعد يومين تظاهرة المليون المؤيدة للعراق ضد هجوم امريكي متوقع .

ويضع المسؤولون اليمنيون في حسابهم ان الولايات المتحدة ، عندما لا تكون راضية ، فإنها تلجأ الى أشكال من الضغط ، أشدها على اليمن الضغط الإقتصادي الذي اتخذ مستويات عدة ، فالى جانب ما ترتب على العودة القسرية للمغتربين اليمنيين من تضخم نقدي وانحسار في إيرادات العملات الصعبة ، جمّدت وكالة التنمية الامريكية منحة قدرها 28 مليون دولار لعدد من مشاريع التنمية في اليمن ، ثم تم تجميد مبلغ 20 مليون دولار لتغطية حاجات الغذاء على حساب برنامج الأغذية الامريكي ، فضلاً عن إلغاء ثلاثة ملايين دولار على برنامج التعاون العسكري .

ويعتقد السيد عبدالله بن حسين الاحمر شيخ مشايخ (حاشد) ، اكبر القبائل اليمنية ، انه كان على حق عندما عارض دخول القوات العراقية الى الكويت ، واتخذ لأجل ذلك موقفاً علنياً صريحاً ، وسعى خلال الأزمة الى زيارة السعودية التي يرتبط بعلاقات وثيقة مع قيادتها ، ويقول ان حكومة صنعاء لم تشجعه على ترؤس وفد غير رسمي يقوم بهذه المهمة ، ولم يتمكن من اللقاء مع الملك فهد إلا بعد انتهاء حرب الخليج عندما اجتمع اليه بصفة شخصية ، والتقى الأمير سلطان بن عبدالعزيز وأخاه الأمير نايف بن عبدالعزيز ليدعوها الى التعميل بصورة حسنة مع اليمنيين الذين ظلت لهم ارتباطات عمل جاخل المملكة العربية السعودية .

لكن الاحمر ، ذهب خلال لقائه معي الى ان استمرار معاقبة العراق برغم خروج قواته من الكويت لم يعد عملاً صحيحاً او مقبولاً وهو يبين ان الهدف لم يعد استعادة الكويت كما كان يُقال من قبل .. وقد اصبح هذا العمل عدواناً على العراق .

ويمثل الاحمر قوة تحريك اجتماعي وقبلي مؤثرة ويستمد قوته من الدور الذي لعبه في حرب التحرير ضد حكم الأئمة ومساندته ثورة السادس والشعرين من سبتمبر 1962 ، وقد قاد بعد حرب الخليج حركة سياسية باسم التجمع اليمني للإصلاح ، صارت واحدة من أقوى الحركات السياسية المتنافسة في البلاد ، ولم يعد في مقدوره الإصطدام بالمشاعر العامة لليمنيين التي لا تتردد في إظهار التعاطف مع العراق .. لا بل إنه هو نفسه لم يخف إعجابه بالرئيس صدام حسين ، إنرّ كان قد طلب من العميد مجاهد ابو شوارب عند توجهه الى بغداد يوم 14 / 1 / 1991 ان يسلم على صدام حسين ويقبله من جبهته ، ويعلمه : "إننا ندعو الى حل يمنع وقوع الحرب لا حرصاً على الكويت ولكن خوفاً على قيادة العراق القوية" .

— سلم لي على الشيخ عبدالله وقيل جبهته .

كانت تلك آخر عبارة قالها الرئيس صدام حسين للعميد ابو شوارب وهو يودعه مع رئيس الوزراء حيدر أبو بكر العطاس ووزير الخارجية الأرياني عشية وقوع الحرب .

بغداد : صنعاء

تكاد تخلو العلاقة بين العراق واليمن من اية حساسية ، او حسابات معلقة ، إنرّ لم يحتك البلدان في تاريخهما السياسي المعاصر حول اية قضية . ولم يتنافسوا على أي دور ، ولم يصطدم حول حق في الارض او الولاية السياسية أو الثروة ، وهو الامر الذي جعل التعاطف بينهما عالياً وتلقائياً أيضاً .. وربما

يكون من حسن الحظ ان الجيش العراقي لم يتدخل في اليمن إبان الثورة اليمنية عندما تلقى إبراهيم الولي القائم بأعمال سفارة العراق في صنعاء ، زمنئذ ، طلباً من محمد سعيد العطار يشعره فيه برغبة رجالات الثورة في قدوم قوات عراقية لمنع استفزاز القوات المصرية باليمن ، فأبرق الولي الى رئيس الوزراء العراقي آنذاك عبدالكريم قاسم ، الذي تأمل الطلب ، وأبرق يعتذر لأنه لم يكن يريد لصورة العراق ان تتهشم عبر مداخلة عسكرية غير مأمونة ، وفي ظرف دقيق ربما كان سيؤدي الى اصطدام عراقي – مصري في غير زمانه ومكانه .

وقد يكون من الصالح أيضاً أن خطة اول ثورة مدبرة ضد حكم الأئمة في اليمن قد وضعت من قبل الضابط العراقي الشهير جمال جميل الذي كان منتدباً للعمل في الجيش اليمني ، فأعدمه الامام ، وجعل اسمه من بعده يتردد في أذهان اليمنيين رمزاً للشجاعة المنقذة الطامحة بالحرية لليمن . لذلك ، كان ال تعاطف اليمني عالياً مع العراق إبان أزمات الخليج في العقدين الأخيرين ، وكان بالإمكان عند كل جرح يصيب بغداد ان تستمع الى أئينه في صنعاء ، وعند كل ألم يصيب اليمن ان تشعر بوجعه في العراق ..

ويردد اليمنيون المسكونون بالتراث والتاريخ والعتق : ان العراق واليمن يلتقيان دوماً ، برغم ان في المسافة بينهما فاصلاً واسعاً من الأرض ، هو الحاجز .. وربما الحجاز ..